

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (139)

الإدراك (100)

الإدراك والحلم والإبداع (1 من 5)

Information Processing

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD231212.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/12/23  
السنة السادسة - العدد: 1941

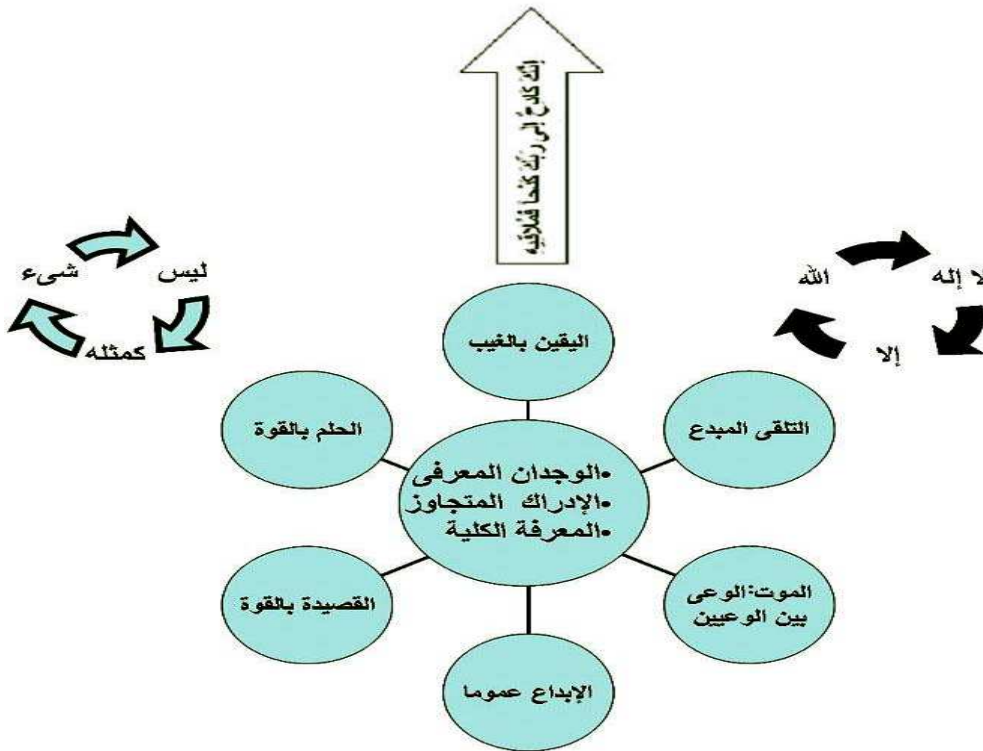


### مقدمة:

انتهت النشرة السابقة بهذا الاعتراف: "...نحن في ورطة يا عم إدريس، ورطة حقيقية أرجو أن تحتملنا ونحن نحاول الإحاطة بها، لا الخروج منها، وإليك هذا التخطيط المبدئي دون أى شرح عليه، أملا أن أعطى من خلال إشارات بعض ما يوحى به.



قدرت أن أبدأ بالتهريف بأبجديتك العلمية وبعض فروضك الضرورية عن الحلم والإبداع والإيقاع الحيوانى التكمى ربما سهلت الأمر على من يتابعنا أن يواصل النقذ والتساؤل بما يفيدنا أولا بأول



الحلم هو نشاط معرفى، يقوم بوظيفة تنظيمية أقرب إلى الإبداع، سواء تم ذلك مع إعلان تأليف حلم يرويه العالم عند استيقاظه، أم ظهرت نتائجه المعرفية والتنظيمية تؤكد كفاءة أدائه لهذا النشاط المنتظم المعاود، كجزء من الإيقاع

وحيث هممت أن أكتب نشرة اليوم ، حاولت أن أفى بوعدى وأن أعطى من خلال الشكل أعلاه بعض ما يوحى به ما أمكن ذلك، فإذا بالورطة تزداد، والجرح يتضاعف والأمر يحتاج إلى إعادة ترتيب جذرى.

فلتسمحوا لى أن نؤجل الحديث عن علاقة الموت بالإدراك الآن، فهو الأصعب والأخطر

والأكثر تحدياً، وأكرر مرة أخرى بفرحة لا بعتاب، أن الذى جرننا إلى هذا الحديث هو أ.د. السامرائى، ولا شأن الأطروحة الابن د. إدريس الوزانى فى ذلك، برغم أن النشرة السابقة كانت مخصصة تقريبا للرد الموجز والجزئى على بعض ما جاء فى أطروحته عن الموت، أقول حين نظرت فى الشكل الذى أعدت نشره أعلاه، وتذكرت بعض التساؤلات التى وصلتني مشافهة عن معنى الدوائر الدوارة أعلى الشكل على اليمين والشمال وأنه سبحانه "لا إله إلا الله" ثم أنه تعالى "ليس كمثلته شىء"، ثم السهم كدحا إلى وجهه جل شأنه ربطت ذلك بفروضى عن الموت وعلاقته بالنقلات بين مستويات ودوائر الوعى، وكذلك الموت كأزمة النمو، ووجدت أن الأمر يحتاج إلى تمهيد وتقديم مفصل عن لغتى الخاصة، وهكذا قررت أن أوّجل موضوع الموت والتصعيد إلى وجه الله سبحانه وتعالى إلى أجل غير مسمى، الله أعلم متى يكون وكيف نعود إليه.

رجعت إلى أطروحتى الأساسية عن الحلم ومستوياته، وإذا بى أرجح أن أحدا من المشاركين فى الحوار، أو من تلاميذى، أو من زوار الموقع، اللهم إلا من لا أعرف، قد وصلته أصول هذه الأطروحة التى هى أساس جوهرى لفهم علاقة الإدراك بالحلم ومن ثم بالإبداع، فمن بالله عليكم يعرف الفرق بين "الحلم بالقوة"، و"الحلم الحركى"، و"الحلم المحكى" (المزيف بلغة الأطروحة) وكل هذه المصطلحات لها تعريفات خاصة أستعملها بلغة خاصة.

لكل ذلك قررت أن أبدأ بالتعريف بأبديتى العلمية وبعض فروضى الضرورية عن الحلم والإبداع والإيقاع الحيوى التى ربما سهلت الأمر على من يتابعنا أن يواصل النقد والتساؤل بما يفيدنا أولاً بأول، برغم أن أغلب ذلك قد سبق نشره ضمن أعمالى الباكورة، إلا أن إعادة نشره مجزأ هكذا قد يتيح الفرصة لحوار أرحب.

وفيما يلى الجزء الأول من أطروحتى الباكورة عن الحلم والإبداع بدءاً بالتعريف بالفكرة المحورية فى أطروحة "الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع"، وهى المبنية على نظريتى النظرية الإيقاعية التطورية التى يبنى عليها كل ما ورد عن الحلم والنقد والشعر والإبداع، أملاً أن أربطها أولاً بأول بالإدراك، ولو بشكل نسبى بصفة مبدئية.

### موجز المداخلة عن الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع:

تقدم هذه المداخلة فرضاً يقول بأن الحلم هو نشاط معرفى، يقوم بوظيفة تنظيمية أقرب إلى الإبداع، سواء تم ذلك مع إعلان تأليف حلم يرويه الحالم عند استيقاظه، أم ظهرت نتائجه المعرفية والتنظيمية تؤكد كفاءة أدائه لهذا النشاط المنتظم المعاود، كجزء من الإيقاع الحيوى الشامل.

يستتبع ذلك إعادة النظر فى مستويات الحلم من أعمق حركية التنشيط البيولوجى الإيقاعى الراتب، حتى النقاط بعض آثار هذا التنشيط من معلومات هى مادة صياغة الحلم المحكى قبيل اليقظة (هذا إذا حكاها الحالم أصلاً)، وما بين هذا وذاك تقع مستويات وسطى من التنشيط العشوائى غير المعلى إلى إعادة التنظيم الإبداعى، مع احتمال تزيف بديل بخيال مصنوع، يحل محل إبداعية الحلم.

كما تتناول المداخلة مقارنة قياسية بين مراحل إبداع الحلم، ومرحل إبداع الشعر خاصة، مع إشارة للإبداع القصصى (والروائى)، كذلك تمتد المقارنة لموازاة قراءة الحلم بالنقد الإبداعى، بدلا من تفسيره الملترزم بقواعد من خارجه. تماما مثل التذكرة برفض محاولة تقييم النص الأدبى بعلمنة نقدية تقيسه بمقاييس جامدة، مهما بدت مُحكمة.

تنتهى المداخلة بتفضيل التزام النقد الأدبى بقراءة النص إبداعاً، لتكون

إعادة النظر فى  
مستويات الحلم من أعمق  
حركية التنشيط  
البيولوجى الإيقاعى  
الراتب، حتى النقاط  
بعض آثار هذا التنشيط  
من معلومات محكى  
صياغة الحلم المحكى  
قبيل اليقظة

تقع مستويات وسطى  
من التنشيط العشوائى  
غير المعلى إلى إعادة  
التنظيم الإبداعى، مع  
احتمال تزيف بديل  
بخيال مصنوع، يحل محل  
إبداعية الحلم

التذكرة برفض محاولة  
تقييم النص الأدبى  
بعلمنة نقدية تقيسه  
بمقاييس جامدة، مهما  
بدت مُحكمة

الاجتهادات التي يقال عنها إنها أكثر "علمية ومنهجية" بمثابة الاجتهادات النقدية المساعدة، وليست بديلا عن إعادة إبداع النص نقدا خلافا.

## 1- حركية الإبداع الذاتي ونوابيته:

### 1-1 منطلق الدراسة

هذه الدراسة هي من منطلق شخصي خبراتي [1] أساسا، حيث تتحدد أبعاد هذا المنطلق من ممارستي لفن اللأم Art of Healing أو ما أسميته فن المواكبة العلاجية [2]، وأخيرا اسميته "نقد النص البشري" ومن محاولاتي الإبداعية المتواضعة في مجالات القص، وقرض الشعر، والتظير في علم السيكوباتولوجي، ومن موقفي بوصفي إنسانا "يحلم"، ويتعلم، ويقرأ النصوص الأدبية ناقدا بقدر ما يقرأ النصوص البشرية في تعريبها وتحديدها فيما يسمى: الممارسة الإكلينيكية توصيفا وعلاجيا.

### 1-2 الإيقاعية الحيوية

أشير في عجالة إلى المنطلق البيولوجي [3] الذي أتناول من خلاله ظاهرتي: الحلم والإبداع معا.

- 1- تمثل ظاهرة تناغم الإيقاع الحيوي [4] امتدادا على متدرج يبدأ مما هو قبل الجزئ إلى الكون الأعظم.
- 2 - تقع الظاهرة البشرية في موقع متوسط على هذا المتدرج الإيقاعي الحيوي، حيث تعد ظاهرة البشرية ظاهرة حيوية نابضة، تمثل كونا أصغر متاخلا فيما هو أعظم من أكون، حاويا لما هو أصغر فأصغر.
- 3 - كل ذلك متضمن في دورات هيراركية - متناغمة التناوب والدوائر - دياكتيكية الحركة، من خلال الإيقاع الحيوي الدوري على كل المستويات.
- 4- يستتبع ذلك أن يظل التركيب البشري في حالة حركية متناوبة، تشمل في أحد أطوارها تفكيكا، يهدف إلى إعادة التنسيق والولاف على مستوى أعلى، مستعملا في ذلك المتاح من المعلومات الموروثة والمكتسبة [5]، في تصعيد تدريجي متناوب من خلال دورات الاستيعاب والبسط.
- 5- يتجلى بعض نتاج ذلك في نوع الإبداع الذي يظهر في صورته المختلفة، والذي يصنف في النهاية بحسب اللغة المستعملة (الأدوات - والأبجدية)، أو النتاج الظاهر، أو كليهما، أو لا يصنف أصلا.

### ويظهر الإبداع بالمعنى الأشمل والأعمق في صورة متنامية ومتعددة.

- أ- فهو يشمل مفهوم "النمو" المتصل في دوراته الإيجابية على المستوى الفردي، حيث يعاد تخليق الإنسان على مسار النمو في كل أزمة إبداع بلا انقطاع.
- ب - كما يمثل الحلم إبداعا بيولوجيا آخر على مستوى الدورة الليلنهارية (اليوماوية).
- ج- وأخيرا، فإن الناتج الإبداعي (وأحد صورته الإبداع الأدبي) هو الصورة المتاحة لعطاء هذه العملية الحيوية، وهو الصورة التي تتجلى بالأدوات والمهارات الممكنة: على مستوى فائق من الوعي والإرادة.

أرجو ألا ينزعج القارئ من فرط هذا الإيجاز المبدئي، أو من إقحام كلمات مثل المخ والإيقاع الحيوي، في حديث عن النقد والإبداع، ذلك أن المخ بأعقد ما وصل إليه تركيبيا ووظيفيا هو الممثل الأول للوجود البشري - وإن كان ليس الأوحده، بعد أن استعاد الجسد دوره المحوري في الإسهام في المعرفة، ومن ثم جدل الإبداع. وحدة "المخ / الجسد" [6] هي بمثابة "الوجود الجامع" في كل نتاج إبداعى، سواء كان استمرارا في نمو خلاق، أم حلما معززا منظما، أم جنونا مقتحما فاشلا (إبداعا مجهضا)، أم إضافة خلاقية أصيلة متميزة (الناتج التشكيلي بكافة تجلياته) .

تمثل ظاهرة تناغم الإيقاع الحيوي [4] امتدادا على متدرج يبدأ مما هو قبل الجزئ إلى الكون الأعظم

تقع الظاهرة البشرية فك موقع متوسط على هذا المتدرج الإيقاعي الحيوي، حيث تعد ظاهرة البشرية ظاهرة حيوية نابضة، تمثل كونا أصغر متاخلا فيما هو أعظم من أكون، حاويا لها هو أصغر فأصغر

يظل التركيب البشري فك حالة حركية متناوبة، تشمل فك أحد أطوارها تفكيكا، يهدف إلى إعادة التنسيق والولاف على مستوى أعلى

كما يمثل الحلم إبداعاً  
بيولوجياً آخر على  
مستوى الدورة  
الليلهارية (اليوماوية).

تتبين مشروعية هذا المدخل من خلال التأكيد على أن بداية هذه المداخلة هي "الحلم". التحدى الملقى فى وجوهنا هو التوفيق بين معطيات معامل الأحلام الأحداث (والمبنية أساساً على تسجيل إيقاع المخ الكهربى أثناء النوم)، وبين الحلم بوصفه ظاهرة نفسية (معرفية/إبداعية)، لها لغتها الخاصة، شغلت الناس والنفسيين عبر التاريخ بمحتواها ودلالاتها.

يتناول المخ معلوماته (محتواه/تركيبه/ذواته...إلخ) بطرق متعددة لاجال لتفصيلها هنا. وسأكتفى بالإشارة إلى تنظيم نشاط الحلم من جانب، ونشاط الإبداع من جانب آخر، وهما محور هذا تناول الحالى:

**الحلم هو نشاط مناوب تنظيمى غائى [7] "لمستوى آخر" من الوعى البشرى. الحلم يحاول بانتظام إيقاعى أن يحكم التناغم، ويعزز التعلم، فى حالة من وعى نشط - متبادل - آخر [8].**

الإبداع يقوم بالمحاولة نفسها، إلا أنه ليس دورياً بالضرورة، كما أنه يتم بقصد إرادى نسبى بشكل ما، و هو يتم فى حالة "وعى فائق" (جدلىّ مشتمل، لا وعى عادى، ولا وعى بديل).

الحلم - أساساً - "بسط" [9] دورى مناوب، والإبداع - أساساً - بسط إرادى ولافى أما الجنون (النشط) [10] فهو - أساساً - بسط قهرى مقتحم.

## 2- الحلم: إبداع الشخص العادى

يتواتر الحديث عن الحلم، فى سياق النقد، بشكل وصل إلى أن يطلق اسم: "الأدب الحلم" [11] على بعض أشكال الأدب. وقد بلغت الثقة بمن يستعملون هذا التشبيه درجة توحى - بشكل ما- بأن المشبه به (الحلم) هو ظاهرة واضحة المعالم، تسمح بهذا القياس، وتبرر تأصيل حضور الحلم وعياً تركيبياً غائياً دالاً. ولنبدأ -كالعادة- بفرويد.

### 1-2 فرويد بين "تفسير الأحلام" و"السيرة الذاتية"

مازال كتاب تفسير الأحلام لفرويد [12] يمثل أساساً لكثير من محاولات فهم الحلم وتفسيره. لاشك أنه عمل رائد جيد، ربما لغرض آخر غير ما استعمل فيه، ولسبب آخر غير ما شاع عنه، فقد خاطر فيه فرويد، بتعريفه نفسه - بدرجة ما- مما أضاف إلى رصيده شجاعته الكثير. وتتضاعف قيمة هذا العمل-عندى- إذا أخذناه بوصفه إبداع شاعر واعترافات قاص (وهذا ما حاول فرويد فنيه طوال الوقت!) [13]، غير أن فرويد قد جعل من "تظريته" وصية على أحلامه وتدايعاته، فإذا به يجعل الحلم الظاهر: تمويها وإخفاء، ويجعل الحلم الكامن: رغبة وإحاحاً، فيعارضه "كارل يونج"، إذ يعد الحلم كشفاً لا إخفاء. يأخذ يونج الحلم الظاهر- بلغته الخاصة- مكملاً لحياة اليقظة على طريق التكامل الفردى "التفرد" [14]، ولكن يتفق الاثنان (مثل غيرهما)، على أن الحلم "لغة" خاصة.

### 2-2 الصدمة:

منذ انتشر استعمال رسام المخ الكهربائى وماهية الأحلام تتضح فسيولوجياً. إمكانية تحديد ظهور النشاط الحالم بإيقاع حتمى منظم (20 دقيقة كل 90 دقيقة أثناء النوم) برصدها تخطيطاً أحدثت أثر الصدمة على المفسرين والمحللين [15]. إن من أهم ما أثبتته هذا الاكتشاف هو إقرار أن الحلم يحدث حتماً، سواء تذكرناه وحكيانه، أم لا، وأن الحلم ليس -أساساً- حارساً للنوم كما قال فرويد [16]، بل لعل النوم هو خادم الحلم، أى أننا لانحلم لنحافظ على استمرار نومنا، وإنما الأصح أننا ننام لنحلم أساساً، و بانتظام راتب، وأننا إن لم ننام، فلن نحلم، ولن نعيد تنظيم معلوماتنا. لقد تأكد من خلال تجارب الحرمان من النوم، ثم من تجارب الحرمان من الحلم (من النوم الحالم) أن وظيفة الحلم هي وظيفة تنظيمية، تعزيرية تعليمية [17] أساساً، الحلم ليس مجرد تفتيت أو تفريغ أو تحقيق رغبة، كما أنه ليس مجرد حارس للنوم، وقد أدت هذه الصدمة المعرفية إلى التقليل من التركيز على محتوى

ذلك أن المخ بأعقد  
ماوصل إليه تركيبياً  
وظيفية هو الممثل

لوجود البشرى - و إن  
كان ليس الأوحده، بعد  
أن استعاد الجسد دوره  
المحورى فك الإسهام  
فك المعرفة، ومن ثم  
جدل الإبداع

وحدة "المخ /  
الجسد" (6) أكد بمثابة  
"الوجود الجامع" فك  
كل نتاج إبداعك،  
سواء كان استمراراً فك  
نمو خلاق، أم حلماً معززاً  
منظماً، أم جنوناً مقتحماً  
فانشلاً (إبداعاً مجهضاً)، أم  
إضافة خلاقة أصيلة  
متميزة (النتاج التشكيلى  
بكافة تجلياته)

الحلم لحساب الاهتمام أكثر فأكثر بدوره في تحقيق التوازن النفسى والتنظيم التركيبى فى الصحة والمرض.

### 2-3 المأزق:

لا مفر من التسليم بالمعطيات الفسيولوجية للنشاط الحالم، ولابد من الإقرار، فى الوقت نفسه، بخبرة الناس، والمبدعين، والمفسرين، فيما يتعلق بالمحتوى، وبالتالي: فلا بد من حل يخرجنا من هذا المأزق. هذا بعض ما تحاوله هذه الدراسة، وبيان ذلك:

إن ظاهرة الحلم المسجلة، فسيولوجيا، هى النشاط الحالم الحيوى المتناوب مع نشاط اليقظة من ناحية، ومع طور بقية النوم (غير الحالم أساسا، وليس تماما) من ناحية أخرى.

هذا النشاط الحالم يقوم بتحريك الكيانات الداخلية، أى أنه يقوم بقلقلة المعلومات التى لم تتمثل تماما، أى: بتفكيك البنية القائمة نسبيا بهدف تحقيق درجة أكبر من التوازن والتكامل والتمثل والاستيعاب. يتكرر هذا النشاط إيقاعيا، فى محاولة دائبة لاستكمال مهمة التوازن والنمو البيولوجى التى لا تكتمل أبدا مادامت الحياة تنمو باستمرار.

### 2-4 الفرض (فيما يتعلق بالحلم أساسا):

من خلال ما تابعته فى الممارسة الإكلينيكية، وأيضا من الخبرة الشخصية تبين لى أنه حين يستيقظ النائم - أو يوقظ فى أثناء هذا التنشيط الإيقاعى المسمى النوم الحالم (أو النوم النقيضى: أنظر بعد) فإنه يواجه - وهو يستيقظ - بكم غامر من مفردات (معلومات) تم تحريكها أثناء هذا النشاط (الحالم). وهو حين يحكى الحلم إنما يؤلف بين بعض هذه المعلومات بطريقة لفظية مَرَوِيَّة حتى يمكن للغة الحكى أن تستوعبها، بدرجة ما، ومن ثم يمكن أن تنقلها إلى آخر، أو أن يتذكرها الحالم أو يسجلها لنفسه، ويتم التأليف (قبل التسجيل) - فى جزء من ثانية - بطريقة غير طريقة التفكير والتأليف فى أثناء اليقظة، ليكون الناتج هو هذه الصورة المكثفة المتداخلة، بما تحمل من سرعة نقل، وتدوير للزمن، أو عكسه، أو تقطيعه. (أنظر بعد).

انطلاقا من هذه المقدمة، التى هى جزء لا يتجزأ من الفرض يمكن أن يصاغ الفرض الأساسى لهذه المداخلة على الوجه التالى:

1- ثمَّ نشاط بيونفسى [18] يسمى الحلم، وهو نشاط يشير إلى العملية الناتجة عن النشاط الإيقاعى الذى يمكن تسجيله برسام المخ، فيما يسمى نوم حركة العين السريعة. وهذا النشاط يشمل عمليات: القلقله والتفكيك وإعادة الترتيب والصل.

2- إن هذا النشاط الأساسى ليس هو الحلم الذى نحكىه (يفسره لنا ابن سيرين، أو فرويد) ولكنه المصدر الحركى للحلم المحكى، أو هو معمل أجديته.

3- تمثل المعلومات المُقلَّلة المُفكَّكة المادة الخام (الأبجدية) التى نسج منها الحلم المحكى، (وهذا لا يقابل الحلم الكامن عند فرويد).

4- يتم تأليف الحلم - كما نعرفه - أثناء (لحظات) عملية الاستيقاظ، لا قبلها.

5- إن الحلم المحكى - بناء على ذلك - هو نتاج عملية إبداعية هائلة السرعة، تتم فى جزء من الثانية، أو فى بضع ثوان [19]، فى حالة بينية من الوعى، لاهى وعى الحلم، ولاهى وعى اليقظة.

6- إن تذكر الحلم أو حكيه أو تسجيله هى عمليات لاحقة لما تم تشكيله من هذه المعلومات المُقلَّلة، بتأليف تال فى زمن آخر، يسمح بالحكى أو التسجيل.

### 2-5 مستويات الحلم ومرآته:

أتوقف قليلا، لأعترف للأديب والشاعر والناقد، والقارئ عامه، لإقحامه بعيدا عن بؤرة ما اعتاده الحديث عن الأحلام أو الإبداع، إلا أنى أطلب منه أن يصبر حتى يحكم على ضرورة هذه المقدمة

التحديك الملقك فك  
وجوهنا هو التوفيق بين  
معطيات معامل الأحلام  
الأحدث (والمبنية أساسا  
على تسجيل إيقاع المخ  
الكهربك أثناء النوم)،  
وبين الحلم بوصفه ظاهرة  
نفسية (معرفية/إبداعية)،  
لها لغتها الخاصة، شغلت  
الناس والنفسيين عبر  
التاريخ بمحتواها  
ودلالاتها

الحلم هو نشاط مناوب  
تنظيمك فائق [7]  
لمستوى آخر من  
الوعي البشرى. الحلم  
يحاول بانتظام إيقاعك  
أن يحكم التناغم، ويعزز  
التعلم، فك حالة من  
وعيك نشط - متبادل -  
آخر [8].

الحلم - أساسا -  
"بسط" [9] دورك  
مناوب، والإبداع - أساسا  
- بسط إرادك ولافك  
أما الجنون (النشط) [10]  
فهو - أساسا - بسط  
قهرك مقترح

ما زال كتاب تفسير  
الأحلام لفرويد [12] يمثل

أساساً لكثير من محاولات فهم الحلم وتفسيره. لاشك أنه عمل رائد جيد

خاخر فيه فرويد، بتعيرية نفسه - بدرجة ما- مما أضاف إلـه رصيد شجاعته الكثير

فرويد قد جعل من "نظريته" وصية على أحلامه وتداعياته، فإذا به يجعل الحلم الظاهر: تمويها وإخفاء، ويجعل الحلم الكامن: رغبة وإلحاحاً

فيهارض "كارل يونج" فرويد، إذ يعد الحلم كشفاً لا إخفاء. يأخذ يونج الحلم الظاهر- بلغته الخاصة- مكملاً لحياة اليقظة على خريق التكامل الفرد- "التفرد" [14]

وأهمية هذا الفرض في التطبيقات المقترحة لقراءة الحلم وما يوازيها من كيفية قراءة (نقد) النص الأدبي.

يمكن تحديد المراحل (المستويات) التي يمر بها الحلم المحكى، من أول التنشيط الفسيولوجي، وحتى حكايته (حلماً) (في قص مسلسل أو صورة مشكلة) كما يلي:

(1) تبدأ العملية بالظاهرة الأساسية التي تتمثل في التنشيط الإيقاعي بالتناوب، الذي يسجل تحت ما يسمى نوم الريم REM [20] وهو الحلم بمعناه الفسيولوجي، وفيها يتم التحريك، والقلقلة، والتناثر، للمعلومات

(2) تتحرك الكيانات المكونة للدماغ/المخ (الذات) [21]، تأهباً للتأليف، والتمثل، والتعزيز. هذا المستوى المبدئي إنما يمثل حدة التنشيط الدوري في طور البسط.

(3) إن المحتوى الفج الذي يتحرك في هذا المستوى لا يظهر أصلاً في وعى اليقظة، فهو بالتالي أبعد عن أن تتناوله قدرة الحكي من حيث المبدأ (في الأحوال العادية)، فيظل رصده لا يتعدى رصد النشاط الكهربى الدال عليه، لكن آثاره التنظيمية، والتعليمية، والنمائية، هي التي يمكن قياسها، أما محاولة تسجيل المراحل الأسبق فتبدو مستحيلة بالأدوات، الحالية [22].

(4) قد يظهر هذا النشاط الفج بأقل قدر من التأليف الضام أو المسلسل، وهو ما نستنتج بعض ملامحه فيما يظهر في شكل ما يسمى "الأحلام الذهانية" أو شبه الذهانية، حيث يبدو محتوى الحلم مقطعا وبدائياً وفجا ومنتائراً ومرعباً مشتملاً على أجزاء الجسد، والكائنات الخرافية والنقلات المستحيلة، مما لا يمكن جمعه إلا لصقاً متعسفاً. إن ما يسمى الأحلام الذهانية ليس ذهانا (مرضاً) ولا هي أحلام الذهاني، لكنها قد تعتبر في بعض الأحيان إرهابات بالنكسة أو إنذارات تفسخ قادم. على أن هذا النوع من التناثر هو نفسه الذي قد يكون المادة الأكثر أصالة لما سوف يسمى فيما بعد "الإبداع الفائق" أو "الخالق".

(5) أغلب الأحلام المحكية يتم تشكيلها "أثناء" عملية الاستيقاظ، لا بعد الاستيقاظ الكامل، ولا هي ما حدث أثناء الحلم فعلاً، ذلك أن الشخص وهو يعيش مرحلة استيقاظه يلتقط بعض معالم المادة المستتارة بدرجة تسمح له أن يؤلف منها حلمه الذي يحكيه على أنه الحلم.

(6) في كثير من الأحيان، وبعد أى مرحلة من هذه المراحل، قد لا يستطيع الحالم أن يحكى الحلم، وكثيراً ما ينكر أنه حلم أصلاً، وهذا لا يعنى أن ذلك صحيح، بل إنه قد يشير إلى غلبة ميكانيزمات الإنكار والمحو والكبت التي تمنعه من مجرد حكي أحلامه. يمكننا، إذن، صياغة عملية الحلم في مراحل ثلاث أساسية.

غداً بإذن الله

[1]- "شخصي" بالمعنى الفينومينولوجي، وليس الذاتى بمعنى "الشخصنة Personification"، وهو يشمل أن نقل جرعة الذاتية الإسقاطية، لحساب استيعاب الموضوع في وحدة "الذات لموضوع الكلية"، التي تفرز الخبرة بمقدار نجاحها في التخلص من الشخصنة والإسقاط.

[2]- يحيى الرخاوى: (1979) دراسة في علم السيكوباتولوجي: 698-702، 788-790، 783-784. القاهرة. جمعية الطب النفسى التطورى.

[3]- أعنى بكلمة "بيولوجي" طوال هذه الدراسة، المعنى الأشمل للكلمة، وهو "علم الحياة"، بادناً بما هو دون الجزئى، شاملاً التفاعل البيوكيميائى، حتى الوجود الواعى في حالة الظاهرة البشرية

- مارا بمختلف أشكال وتجليات السلوك - وعلى هذا فلا بد من الانتباه إلى رفض معنى كلمة "بيولوجي" الضيق الذي شاع بسوء الاستعمال بوصفها تعنى ما هو كيميائي أو فسيولوجي. إن هذا المعنى الشامل لكلمة بيولوجي، هو الذي استعملته في أغلب كتاباتي السابقة، ويبدو هذا التحديد ضروريا وبخاصة فيما يتعلق بما أسميته فيما بعد، هنا في هذه الدراسة، "الواقعية البيولوجية". إن جاك لاكان وهو يرفض بحدّة ما هو بيولوجي عاد يعلن أو يقترح أنه ينتمى إلى ما أسماه البيولوجيا غير البيولوجية **Non-biological Biology** ، كما أن ميلاني كلاين (ممثلة للمدرسة الإنجليزية في التحليل النفسي)، رفضت بيولوجية سيجموند فرويد بما تشير إليه من أولوية الغرائز ودفعها، لتحل محلها "العلاقة بالموضوع" كأساس للنمو وفهم المسيرة البشرية في السواء والمرض. إن مفهوم البيولوجي في هذه الدراسة وكما يتبناه الكاتب هو مفهوم تطوري نوعا وأفرادا.

[4]- الإيقاع الحيوي **Biorhythm** الذي هو محور هذه الدراسة هو كل عمليات التوازن الحيوي المتكرر في إيقاع منتظم لا يتوقف، مع اختلاف وحدة الزمن : حيث تتراوح من الميكروثانية في تفاعلات الكيمياء الحيوية، إلى المليثانية في نشاط الإطلاق **Firing** النيوروني المنتظم، إلى الثانية الكاملة في دورة القلب، إلى تسعين دقيقة في نشاط النوم النقيضي-الحالم-إلى الدورة الليلنهاريّة / اليوماوية / السركاوية **Circadian**، يوما كاملا: نهارا وليلا واحدا، إلى دورات النمو المتعاقبة في حياة الفرد **Macrogeny**، إلى جماع دورات النمو الفردي **Ontogeny** إلى الطفرة في تاريخ النوع كله **Phylogeny**.

إن الإيقاعية الحيوية **Biorhythm** هي دورية منتظمة - بالنسبة لنشاط المخ بالذات (الذي كان يبدو قبل ذلك: إما كمشتبك توصيلات، أو مخزن معلومات) وذلك من أول الإطلاق النيوروني الدوري **Periodical Neuronal Firing** إلى الجهد الفاعل **Action Potential** لمحور الخلية العصبية المفردة، إلى محصلة النشاط الكهربى للمخ ككل. وقد أوردت كل هذه التفاصيل لأن هذا البعد الإيقاعي الحيوي هو المحور الأساسى الذى تدور حوله الدراسة، وهو المحور الذى بنى عليه الكاتب نظريته المسماة "النظرية التطورية الإيقاعية **Evolutionary Rhythmic Theory** لتفسير السلوك البشرى في وحدة سيكوبيولوجية متصلة- في الصحة والمرض (يحيى الرخاوى: محاضرات مختارة في الطب النفسى، الموقع [www. Rakhawy.org](http://www.Rakhawy.org)، وأيضا دراسة في علم السيكوباتولوجي: هامش 3)

[5]- حتى المعلومات الموروثة من الأسرة أو من النوع- هي قابلة للتعتة والتحريك; فمزيد من التمثيل، وأعنى بالتمثيل مايقابل العملية الحيوية التى تقلب العناصر الأولية البسيطة إلى التركيب العضوى الحى المركب لتصبح جزءا لا يتجزأ منه، وهو ما يقابل الأيض البنائى **Metabolism**، وبالنسبة للمعلومة فى المخ فإن هذا الفرض المتضمن فى النظرية السالفة الذكر يعامل المعلومة مبدئيا كجسم غريب مُدخل، ثم يأخذ الإنسان فى هضم وتمثيل هذا الجسم/المعلومة - مع كل نبضة حيوية، على كل المستويات لتواصل النمو، وتغير النوع معا . إن هذا البعد له علاقة بالأنماط الأولية **Archetypes** عند يونج **Jung**، كما أن له علاقة بظاهرة "البصم" **Imprinting**. عند لورنز وتينبرحن بوجه خاص.

[6]- هذا الاصطلاح "المخ/الجسد" هو تحديث أدخل بدلا من التركيز على "المخ" فى صورة الفرض الأولى وإن كان استعمال لفظ المخ سيقبل حتما إلا أنه سوف يعنى داتما هذه الوحدة المشتملة "المخ/الجسد"، تأكيدا لما كشف عنه العلم المعرفى الأحدث لدور الجسد فى التفكير والإبداع!

[7]- غائية الحلم تعنى هنا أنه ليس عشوائيا مطلقا، كما أنه ليس أساسا "تحقيق رغبة" كما شاع

أنا لأنحلم لنحافظ على  
استمرار نومنا، وإنما  
الأصح أننا ننام لنحلم  
أساسا، ويانتظام راتبنا،  
وأنا إن لم نهم، فلن نحلم،  
ولن نهيد تنظيم  
معلوماتنا

تأكد من خلال تجارب  
الهرمان من النوم، ثم من  
تجارب الهرمان من الحلم  
(من النوم الحالم) أن  
وظيفة الحلم هى وظيفة  
تنظيمية، تعززية  
تعلمية(17) أساسا

الحلم ليس مجرد تنفيذ  
أو تفرغ أو تحقيق رغبة،  
كما أنه ليس مجرد  
حارس للنوم، وقد أدت  
هذه الصدمة المعرفية  
إلى التقليل من التركيز  
على محتوى الحلم  
لحساب الاهتمام أكثر  
فأكثر بدوره فى  
تحقيق التوازن النفسى  
والتنظيم التركيبى فى

عن فرويد خطأ وصوابا، وإنما أعنى بالغانية هنا تحقيق برمجة تنظيمية مكملة لغائية اليقظة فى تجليات الوجود. (دليل الطالب الذكى (للكاتب) الجزء الأول (1982) القاهرة ص94- 99 دار الغد للثقافة والنشر).

[8]- أستعمل كلمة الوعى هنا - مبدئيا - بمعنى تركيبى محدد؛ فهى تعنى أية: "منظومة بنيوية ، متناغمة فى مستوى بذاته، تصبغ كل نشاط المخ وحركية محتوياته بصبغتها وقوانينها على كل المستويات ، كل فى موقعه من تطور ودورات النشاط، وتبادل التنظيم"، وعلى ذلك فكلمة الوعى هنا لا تشير بالضرورة إلى إدراك معرفى أو حسى فى حالة اليقظة، فتمّ "وعى النوم" و "وعى الحلم" و"وعى اليقظة". من هذا المنطلق أنبه إلى رفضى للاستعمال الشائع لكلمات مثل اللاوعى، واللاشعور (انظر للمؤلف دليل الطالب الذكى- الجزء الأول ص 235) هذا وقد تطور عندى مفهوم الوعى بعد ذلك حتى عدلت عن الاكتفاء بأن يكون الوعى بمثابة وساد للوظائف الأخرى، ذلك أنه ليس أرضية لمحتوى غيره، بقدر ما هو متداخل فاعل طول الوقت على مستويات متعددة متداخلة ومتبادلة ومتجالدة معا.

[9]- ستتكرر كلمة "بسط" "Unfolding" طوال هذه الدراسة، لذلك يلزم أن يتضح معناها وتبين استعمالاتها بشكل كاف ومحدد منذ البداية، حيث أعنى بها "الطور النشط" فى دورة الإيقاعية الحيوية لحركية المخ، وهو الطور الذى تُقْلَقَل فيه المعلومات المدخلة والسابقة التى لم يكتمل تمثيلها بوجه خاص، وذلك بغية استكمال تنظيمها وتناغمها واستقرارها حتى المواعمة الولايفية والتمثيل". إن نشاط المخ يتراوح بين طورين (آخذين حركة القلب كنموذج قياسي): طور التمدد Diastole، حيث تكون العملية التحصيلية هى الغالبة (وهو مايقابل طور ملء عضلة القلب بالدم) ثم طور الاندفاعية Systole، وهو مايقابل انقباض عضلة القلب لدفع محتوى القلب إلى الدورة الدموية فى سائر أنحاء الجسد. (تعبير "ما يقابل" لا يعنى مثل) لكننا إذا قبلنا مضطرين فكرة التمدد مجازيا فى نوايبية المخ ، فإن كلمة الاندفاعية لاتصلح حتى أن تكون مجازا. لذلك سوف نستعمل هنا كلمة بسط Unfolding، لتنفيذ التنشيط الدورى، وفى الوقت نفسه تفيد فكرة "الاستعادة"، بمعنى أن يستعيد نشاط ما أطواره السابقة بالترتيب نفسه، ليضيف إليها ما لم يكتمل فى الطور الحالى بولاف جديد، وهو ما كان الطور السابق يعده به (تطوريا) . إن هذا هو ما يقول به، ما سُمى بالقانون الحيوى Biogenic Law،(نظرية الاستعادة Recapitulation Theory) من حيث إن الأنتونجينا (تاريخ تطور الفرد) تعيد الفيلوجينيا (تاريخ تطور النوع)، وفى المرض التطبيقات القياسية اللاحقة على وحدات أصغر فأصغر، (الماكروجينيا - الميكروجينيا)، وفى المرض تجرى الاستعادة أيضا ولكنها تتحول إلى نبضة مجهضة أو متفجرة (هامش 3).

[10]- يستعمل لفظ "الجنون" عند معظم الذين يكتبون فى النقد أو الإبداع استعمالا فضفاضاً لا يجوز، وخاصة بعد تعدد تصنيفات الذهان (الجنون Psychosis) إلى عشرات الأنواع، لذلك أحدد من ناحيتى أن الجنون العضوى التشريحي المباشر مستبعد فى هذه الدراسة (مثل الخرف أو الجنون الناتج عن أورام فى الدماغ..إلخ). إن ما أعتبره الجنون الأم أو الجنون الأصل (إن صح هذا التعبير) الذى يرد فى هذا الفصل، وفى كل الفصول هو الفصام بكل مراحلها، وبالذات فى شكله التفسخى Disorganized وأحيانا التدهورى Deteriorated مضافا إليه - أحيانا- بعض أنواع الجنون الأخرى التى ليست سوى محاولة بديلة للحيلولة دون التمدادى فى التفسخ والتدهور بأشكال أقل إمراضية (وإن كانت أخطر أحيانا) من العملية الفصامية(دراسة فى علم السيكيوباتولوجى هـ3)وتحديد الجنون فى هذا السياق الحالى بأنه "الجنون النشط" يشير إلى نوع الجنون ذى الأعراض الإيجابية مثل: الهلوس والضلالات والتفسخ النشط، والهيلاج، فى مقابل الجنون المندمل

إن ظاهرة الحلم المسجلة، فسيولوجيا، هى النشاط الحالم الحيوى المتناوب مع نشاط اليقظة من ناحية، ومع خور بقية النوم (غير الحالم أساسا، وليس تماما) من ناحية أخرى

النشاط الحالم يقوم بتحريك الكيانات الداخلية، أكد أنه يقوم بقلقة المعلومات التى لم تُتمثل تماما، أكد: بتفكيك البنية القائمة نسبيا بهدف تحقيق درجة أكبر من التوازن والتكامل والتمثل والاستيعاب

تُرَّ نشاط بيونفسك[18] يسمى الحلم، وهو نشاط يشير إلى العملية الناتجة عن النشاط الإيقاعى الذى يمكن تسجيله



برسام المخ، فيما يسمى  
نوم حركة العين  
السريعة. وهذا النشاط  
يشمل عمليات: القفلة  
والفكك وإعادة  
الترتيب والصقل

أو السلبي الذى هو أقرب إلى الانسحاب والهمود والتبلى والتخثر، أو لتقريب الأمر للقارئ: فإن  
الجنون النشط هو أقرب إلى مرحلة إضرار الحريق، أما الجنون المندمل فهو أقرب إلى الرماد  
المتخلف بعد الحريق، كما أن العملية الذاهنية المؤدية إلى التفسخ الفصامى هى المراد بها الجنون  
أساسا، وهى العملية التى تصل فى نهايتها الأخطر إلى نوع من التدهور السلبي الذهانى أيضا، لكنه  
أبعد ما يكون عما يراد به حين نستعمل لفظ الجنون فى هذه الدراسة بوجه خاص.

[11] - أنظر مثلا: يحيى عبدالدايم: تيار الوعى والرواية العربية المعاصرة، "فصول"، المجلد  
الثانى، العدد الثانى 1982 ص 158، ثم انظر تعبير أدونيس "إنه يرفع الواقع إلى مستوى الحلم"،  
أو "فالأحداث التى تجرى فى هذا المسرح تشبه الأحداث التى تجرى فى الحلم"، وهى لذلك كأحداث  
الحلم" (ص187) ثم "بل هو الحلم"، "الحلم هو ذلك الزمن الآخر الذى يختلف عن الزمن" (ص202)  
"أدونيس زمن الشعر"، دار العودة، 1979.

ومؤخرا (2005) يمثل ما صدره نجيب محفوظ تباعا بعنوان "أحلام فترة النقاهاة" نقلة مركزة  
متواصلة تسمح بتناول هذه الظاهرة بشكل تفصيلي، وبرغم أن نجيب محفوظ لجأ إلى هذا الشكل  
مضطرا (مع الاعتراف بأن إرهاباته ظهرت فى أعمال سبقت، وخاصة أصداء السيرة الذاتية)، إلى  
أن طبيعة هذا الإبداع الأخير تؤيد الأطروحة الحالية بشكل يكاد مباشرا، برغم أن معالمها (معالم  
الأطروحة) قد ظهرت فى إنتاج محفوظ قبل عقدين على الأقل من توالى صدور أحلام فترة النقاهاة،  
وسوف نعود لذلك لاحقا فى المتن، وفى الملحق، وفى الهوامش على حد سواء.

[12] - سيجموند فرويد: تفسير الأحلام. ترجمة مصطفى صفوان (1981)، القاهرة، دار المعارف  
[13] - يقول فرويد "... فإذا رويت أحلامى. لم يكن مفر من أن أطلع نظرات الغرباء على أكثر  
مما كنت أود أطلاعهم عليه.... (ثم يضيف).. ومما يلزم فى العادة كاتبها هو من رجال العلم  
وليس بشاعر" (تفسير الأحلام-الترجمة العربية-ص31).

هنا أود أن أعلن من جانبى رأيا مناقضا لما يقوله فرويد: إن عطاء فرويد شاعرا هو العطاء الذى  
بقي، وأن بعض من يتصور أنه يعلى من قدره إذ ينفى عنه هذه الصفة (صفة الشاعر) قد يكون  
سائرا فى الاتجاه العكسى تماما، حتى لو استلهم هذا النفى من تأكيد فرويد نفسه. وقد ذهب "جاك  
لاكان" إلى مثل هذا رأى بشكل ما حين قرأ فرويد مبدعا كنص بذاته أكثر منه عالما فى التحليل  
النفسى.

[14] - التفرد، هى الكلمة الشائعة ترجمة لمصطلح يونج Individuation، وأنا لا أرتاح لهذه  
الترجمة، بل إن المفهوم الأسمى عند يونج لا يشير إلى التفرد بمعنى تحقيق الذات بقدر ما يوحى  
إلى أن الرحلة تتخطى هذه الفردية البدئية إلى "عملية التكامل الحتمى للذات بمستوياتها معا فى  
تشكل مستمر"، وإلى أن نجد حلا فى ترجمة أصلح، وجب التنويه دعوة للاجتهاد.

[15] - فكرة علاقة الأحلام بالدورة البيولوجية قديمة قبل اكتشاف رسام المخ أصلا، وقد نبه  
إليها فرويد حين ذكر أن فيلسوفا شابا هو "هـ. سفوبودا" حاول أن يستخدم فكرة الدورة البيولوجية  
التي اكتشفها فليس Fliess (صديق فرويد).. وقال بأن المادة التى يتألف منها الحلم ينبغى تحليلها  
باجتماع جميع الذكريات التى تختتم إحدى الدورات البيولوجية". وبرغم بساطة الاقتراح فالفكرة=  
=لابد أن تعطى حق السبق بعد الاكتشافات الحديثة التى ثبتت برسام المخ الهربائى ورصده ما  
يسمى "حركة العين السريعة" أثناء النوم النقيضى الذى هو النوم الحالم. وقد استهان فرويد بهذه  
الفكرة فى حينها، بل خاف منها على الأحلام وعلى نظريته حيث قال "... ولو صحت آراؤه (فرويد  
يقصد آراء الفيلسوف سفوبودا) لنفقت أهمية الأحلام سريعا"، بل إن فرويد قد فرح حين تراجع  
سفوبودا عن فكرته فقال: إنه (الفيلسوف) قد أرسل يعلنه فيها أنه لم يعد يأخذ نظريته هذه مأخذ

إن هذا النشاط الأساسى  
ليس هو الحلم الذكى  
نكبة (فيفسوه لنا ابن  
سبيرين، أو فرويد) ولكنه  
المصدر الحركى للحلم  
المحكك، أو هو محمل  
أبجديته

تمثل المعلومات المقفلة  
المفككة المادة الخام  
(الأبجدية) التكنسج  
منها الحلم المحكك،  
(وهذا لا يقابل الحلم  
الكامن عند فرويد)

يتم تأليف الحلم - كما  
نعرفه - أثناء (لحظات)  
عملية الاستيقاظ، لا قبلها

الجد (تفسير الأحلام فرويد، الترجمة ص 125).

على أن مخاوف فرويد وتراجع سفوبودا لا تلزمنا بالتراجع معهما، ذلك أننا بمراجعة النظريات الأقدم التي أوردها فرويد وفندها يمكن أن نجد كثيرا منها قد عاد إلى الظهور بشكل يحفظ له - بالرغم منه - حق السبق، مثل ما أورده فرويد عن: نظرية اليقظة الجزئية، أو الاستيقاظ الفارقي (تفسير الأحلام ص 109-110). ويهنا هنا أن ننبه على مبدأ عام يسمح باستقبال أفضل لما يضيفه المبدعون، وهو أن تراجع صاحب النظرية التي لا تملك وسائل إثباتها في حينها، لا ينفى صحة النظرية التي أعلنت دون دليل آنذاك، وإنما قد يعنى دعوة لبحث متواصل نلنا نجد لاحقا أدوات ومناهج إثباتها، وهذا ما ثبت في كثير من الأحيان حتى فيما يتعلق بأول عمل لفرويد الذى تنكر له فرويد شخصيا ورفض نشره باسمه حتى أنه لم ينشر إلا بعد وفاته، وهو ما يسمى "المشروع" The Project، وهو ما ثبت صحة كثير من أفكاره بعد امتلاك وسائل البحث النيوروفسيولوجية الأحداث وخاصة التصوير المقطعى التشريحي والوظيفي C.T. , SPECT & PECT.. etc.

[16] - يقصد فرويد بتعبير أن الحلم حارس للنوم: أن الحلم يحدث ليستوعب المؤثر القادم من البيئة الخارجية مباشرة، والذي يهدد النائم بالاستيقاظ، فيتخلق الحلم فورا ليحتوى المنبه فى أقصوصة أو رؤية فلا يستيقظ النائم بفضل أنه يحلم، وهذا قد يحدث فعلا، ولكننا نتحفظ على التفسير الفرويدى، بمعنى أن حالة النشاط الحالم هى سابقة ولاحقة للمؤثر الخارجى الذى قد يثير ترابطات خاصة متعلقة بنوعه، وكذلك بمعنى أن تأليف الحلم أثناء الاستيقاظ فى وجود هذا المؤثر يحمل فرصة أن يحتويه لا أن يكون نتيجة له (انظر بعد).

A Grammar of Dreams, New York Basic Books, [17]- Foulkes, D. (1978)  
Inc. (P3-18)

انظر أيضا يحيى الرخاوى (هامش 2) : "دراسة فى علم السيكيوباتولوجي" خاصة ص 637، 638.

#### [18] - Psychobiological

[19] - من أهم مايساعد فى فهم ما ترمى إليه هذه الدراسة هو تصور الوحدة الزمنية الأصغر وقدرتها على احتواء تأليف مكثف، يبدو ممتدا عند روايته. ولتوضيح ذلك أورد ملاحظتين: الأولى حلم اقتطفه فرويد (حلم مورى 1878) (تفسير الأحلام ص 64، 65) " .. كان مريضا يلزم الفراش وإلى جواره أمه، فرأى فيما يرى النائم أن الوقت هو حكم الإرهاب فى عهد الثورة (الفرنسية)، وجعل يشهد بعض مناظر الموت المروعة، ثم دعى للمثول أمام المحكمة، وهناك رأى روبسيير، ومارا، وفوكييه-تانييل وسائر الأبطال المفجعين لهذا العهد الرهيب، وسأله هؤلاء الحساب. ثم بعد عدة من التفاصيل لم يعد يذكرها، أدين وسيق إلى ساحة الإعدام، يحيط به جمهور لا حصر له. وصعد مورى على المنصة وشده الجلاذ إلى العارضة، وانقلبت هذه، وهوى نصل المقصلة، وأحس مورى برأسه ينفصل من جذعه، فاستيقظ فى رعب، فإذا هو يتبين أن رأس السرير قد سقط، فأصاب عموده الفقرى عند العنق، مثلما يفعل نصل المقصلة .

أوردت هذا الحلم لسبب غير السبب الذى أورده فرويد وهو يحاول الربط بين الحدث الخارجى ومحتوى الحلم. إن هذا الحلم يظهر مدى التناسب الظاهرى بين الحدث المسئول عن محتوى الحلم وبين القصة الممتدة كل هذا الزمن، بمعنى أن سقوط رأس السرير لم يستغرق سوى ثانية، أو بضع ثوان فى حين أن الحلم كما حكى، استغرق كل ذلك الزمن، بما يدعم فكرة تنهاى صغر زمن الحلم، وعدم ارتباطه بالزمن المحكى فى محتوى الحلم، فضلا عن ترجيح ما سيأتى به الفرض من أن الحلم قد تأليفه كله مع لحظة الاستيقاظ بسبب سقوط رأس السرير.

إن الحلم المحكك - بناء على ذلك - هو نتاج عملية إبداعية هائلة السرعة، تتم فك جزء من الثانية، أو فك بضع ثوان [19]، فك حالة بينية من الوعد، لاهك وعد الحلم، ولاءك وعد اليقظة

إن تذكر الحلم أو حكيه أو تسجيله هك عمليات لاحقة لما تم تشكيله من هذه المعلومات المقلقة، بتأليف تال فك زمن آخر، يسمح بالحكك أو التسجيل

تتحرك الكيانات المكونة للدماغ/المخ (الذات) [21]، تأهبا للتأليف، والتمثل، والتعزيز. هذا المستوى المبدئى إنما يمثل حدة التنشيط الدورى فك عجز البسط

إن ما يسمى الأحلام الذهانية ليس ذهانا (مرضا) ولا هك أحلام الذهانك، لكنها قد

تعتبر فك بعض الأحيان إرهابات بالنكسة أو إنذارات تفصح قادم. على أن هذا النوع من التأثير هو نفسه الذك قد يكون المادة الأكثر أصالة لما سوف يسمك فيما بعد "الإبداع الفائق" أو "الخالق"

أغلب الأحلام المحكية يتم تشكيلها "أثناء" عملية الاستيقاظ، لا بعد الاستيقاظ الكامل، ولا هك ما حدث أثناء الحلم فعلا، ذلك أن الشخص وهو يعايش مرحلة استيقاظه ينتقل بعض معالم المادة المستتارة بدرجة تسمح له أن يؤلف منها حلمه الذك يمكنه على أنه الحلم

الملاحظة الثانية من خبرات شخصية أورد إحداها كمثال:

كنت أقود سيارتي ليلا في طريق مصر-اسكندرية الزراعى، وقبل كوبرى قلوب العلوى بعشرات الأمتار رأيتنى وأنا أخطب فى جمع من الناس، وأنادى أها لى، وأتوعد بعض المارقين، وأسمع أغنية سخيفة ثم أستيقظ فرعا-لأنى كنت مازلت أقود السيارة -وأجد السيارة لاتزال تسير مستقيمة وبسرعة، وأنظر إلى جارى الممتلئ يقظة فلا أجده قد لاحظ شيئا، فأعلم أنى حلمت كل= = هذه الأحداث فى جزء من الثانية، أو أقل أو أكثر قليلا، فأحكى الحلم لجارى فلا يكاد يصدق. أوردت هذا المثال الشخصى لتأكيد زمن الحلم المتناهى فى الصغر من ناحية، وللاشارة إلى عدم ضرورة علاقة محتوى الحلم بالأحداث الخارجية من جهة أخرى. ويمكن ربط هذه الفكرة المزعجة (تناهى صغر لحظة الحلم/ الإبداع) بمفاهيم كثيرة شائعة وصعبة الاستيعاب، مثل مفهوم الميكروجينى (الذى اقتطفه أريتى من فرنر)، و"لحظة" الإلهام عند المبدعين، وربما أصل به لمفهوم "الوثبة" فى إبداع الشعر... إلخ. مما لا مجال لتفصيله هنا، [راجع أيضا هامش (5) بالنسبة لوحدة الزمن]

فى عمل لاحق لى "ترحالات" (مزيج من أدب الرحلات والسيرة الذاتية) مررت بتجربة مشابهة أتيتها فى هذا العمل الجزء الثالث من الترحالات الجزء الثالث القاهرة 2000(ص202) فتأكدت أن الخبرة الأولى فى الطريق الزراعى لم تكن مجرد مصادفة أو تصورا من جانبى.

[20]- كنت قد وضعت اختصارات عربية لطورى النوم، أسوة بالاختصارات الإنجليزية، وهى نوم "حرس" REM sleep= Rapid Eye Movement Sleep اختصار لـ "حركة العين السريعة"، ثم نوم "بدون حرس" NREM sleep اختصار الـ "النوم بدون حركة العين السريعة" REM = Non Rapid Eye Movement. لكننى تراجعت عن استعمال هذه الاختصارات فى هذه الدراسة على الرغم من تفضيلى لها، ذلك أن د. أحمد مستجير قد نحت مؤخرا كلمة نوم "الريم" نسبة إلى الحروف الإنجليزية، REM وهى كلمة أسهل مع أن بها - من وجهة نظرى - تغريبا نحن فى غنى عنه، ولكنها أسهل نطقا فتصبح أيسر استعمالا.

[21]- تستعمل كلمتى: المخ - الدماغ بالتبادل كمؤشر دال على التركيبية البشرية الرائدة، بيولوجيا، إلا أنها ليست بديلة عن كلمات: الذات - الوجود - التركيب، باعتبار أن لغة هذا المقال تركز على كلية الكيان البشرى، وإن كان المنطلق المبدئى بيولوجيا كما اسلفنا.

[22] - فى محاولة لإدراك علاقة مستوى اليقظة بتأليف الحلم، فى أطوار مختلفة من عملية الاستيقاظ. قمت بمحاولة تسجيل ذاتى فى أثناء كتابة هذا المقال، كما تابعت بعد ذلك خطوات بحث فى الأحلام كرسالة دكتوراة قام بها د. سيد حفظى وكنت المشرف عليها، وقد حاولنا تسجيل الأحلام فى أثناء الاستيقاظ، وبخاصة إذا عاد الحالم إلى النوم، وأيضا حاولنا التسجيل الفورى بالكتابة، والتسجيل الفورى صوتيا عقب الاستيقاظ بفترة ما، وكذلك التسجيل بالرواية لآخر، ثم الاستعادة...إلا أن نتائج كل هذه المحاولات لم يقربنى أكثر من فروض هذا البحث ربما لاختلاف الوحدة الزمن

\*\*\* \*\*

## وحدة الدراسة والبحث فى الإنسان والتطور

"قراءة النص البشرى من منظور تطورى انطلاقا مما أدركه يجيى الرخاوى"

الإصدار الفصلي لنشرة "الإنسان والتطور" (حسب المحاور)

ربيع - صيف 2012

"الفصلام"